العَطش وَالجُوع

تأليف : يُوجين يونسكو
ترجمة : د. حمادة ابراهيم
مراجعة : د. سيّد عطية أبو النجا

العنوان الاصلي للمسرحية

Théâtre

IV

LA SOIF ET LA FAIM

nrf

GALLIMARD

شخصيات المسرحية

جـــان	Jean
الراهب تاراباس	Frère Tarabas
تريب	Tripp
بريختول	Brechtoïl
الحارس الاول	
الحارس الثانى	
كبير الرهبان	
الراهب الثاني	
الراهب الثالث	
الراهب المحاسب	
العمة أديلاييد	Tante Adelaide
مارى مادلين	Marie-Madeleine
مارت	Marthe

قام بالاخراج جان ــ مارى ــ سيرو
صمم المناظر والملابس جاك نويل
وضع الموسيقى التصويرية جيلبير آمى

عرضت هــذه المسرحية لاول مــرة على مسرح الكوميدى فرانسيز فى الثامن والعشرين من فبراير عام ١٩٦٦

الجزء الاول

الهـــروب

شخصيات هذا الجزء :

جـــان

مارى مادلين

(فيما بعد) العمة اديلاييد

الديكور

داخل منزل معتم إلى حد ما . باب إلى يسار المتفرجين ، مدفأة قديمة على جدار أقصى المسرح . أقصى المسرح عبارة عن جدار رمادى أقرب إلى القذارة تعلوه نافذتان أو كوّتان . أمام المدفأة أريكة مستهلكة . مقعد وثير منخفض عتيق في مقدمة المسرح وبجواره مهد . على الجدار الأيمن مرآة عتيقة . طاولة متواضعة . كرسي مكسور . جمرة نار ستظهر ثم تختفي في المدفأة . وبعد ذلك تظهر حديقة منيرة .

جان : (مخاطبا مارى – مادلين) أنا لا أستطيع أن أفهمك ! لماذا نعود إلى هنا ؟ كنا مرتاحين هناك ، في المنزل الجديد بنوافذه التي تطل على السماء ، نوافذه التي تحيط بالشقة من كل مكان . . . والتي كان النور ينساب خلالها من الجنوب ومن الشمال ومن الشرق ومن الغرب ، ومن سائر الجهات الأصلية الأخرى . هل تذكرين حينما كنا نخرج إلى تلك الشرفة الذهبية ؟ كانت ذهبية ، والفضاء الذى كان ينبسط أمام عيوننا ! كلا ، كلا . أنا لا أستطيع أن أفهم . لماذا نعود ونسكن هنا مرة أخرى ؟

مارى مادلين : هناك أيضا كنت تشكو . فأنت أيضا لا تحب البقاء

في الأماكن المسرفة في الاتساع . ان لم تضق بالأرض الفضاء ، ضقت بالأماكن المقفلة أو الضيقة .

جـــان : هذا الطابق الأرضي الذى واتتنا الفرصة وتمكنا من تركه انه حتى ليس طابقا أرضيا ، بل هو طابق تحت الأرض . ولهذا تركناه بمجرد أن عثرنا على منزل صحى .

مارى مادلين : تقول هذا الآن . ومع ذلك ، فحينما كنت تنزل الى الشارع هناك ، لم تكن تحب ذلك الحي . هنا ، على الأقل ، لا يوجد لصوص . بل أناس طيبون ، تجار صغار ، وكلهم يعرفونك . ان جيراننا القدامى ما زالوا هنا ، وأصدقاءنا .

جـــان : (مواصلا ومحدثا نفسه) هذا هو كابوسى . كابوسى منذ كنت ، منذ كنت طفلا صغيرا ، كثيرا ما أفيق من نومي في الصباح على غصة في حلقي بعد أنأكون قد رأيت في منامي هذه المساكن المخيفة التي غـرق نصفها في المـاء وغطى التراب نصفها الآخر ، وامتلأت بالأوحال . انظرى ، إلى البيت كم هو ممتلىء بالوحل .

مـــارى : ستنصلح الحال وسأعمل على تجفيف البيت . فهناك سباكون في الحي ، وعمال يشتغلون لحسابهم الخاص ويحضرون إذا استدعيناهم .

جـــان : يا لهذه المساكن التي يدخل فيها المـاء في أحذيتنا ، فنرتعد من البرد ونصاب بالروماتيزم ، والضيق الدائم . ان هذا بالذات هو ما أردت أن أتجنبه ،

وما عاهدت نفسي على أن أتجنبه كنت أريد ألا أسكن بأى حال في سرداب . ان الكابوس ما هو إلا انذار وتحذير . وكنت أتصور أن الكوابيس لن تتحقق بأى حال أو بالأصح ، كنت أشعر شعورا غامضا بأن هذا سيقع لى .

مـــارى : إنني لم آت بك إلى هنا بالقوة .

جـــان : كنت قد أخبرتك بأنني لا أريد . ولم يجد ذلك فتيلا . إنك تنتهزين لحظة سهو من جانبي . أفكر خلالها في شيء آخر . وهذا يحدث .ـ فلا يمكن أن يفكـــر الإنسان في كل شيء ، لا يمكن أن يستحضر في ذهنه كل الأفكار في كل لحظة . ان الادراك شاشة ضيقة جدا ! وعلى ذلك فحينما أنسى ، . . . آه . . . كنت قد عاهدت نفسي على ألا أعود إلى هـــذا المكان . إنني في ذهول لأنني عدت . كان يجب أن تدركي أنني أبغض ذلك . حسنا . يحدث أن أكون منصرفا إلى التفكير في شيء آخر ، وتلاحظين أنت ذلك أنت المتيقظة على الدوام ، أنت التي تراقبيني بلا هواده فتأخذيني من يدى ، فيما أنا أحلم بأى شيء كان ، وتسأليني إذا كنت سآتي معك فأرد عليك بالإيجاب وأنا شارد الذهن وإذا بك تأتين بي إلى هنا وتجعليني أستقر بهذا المسكن ، وتجعلينا نستقر بينما خيالى سارح شارد . وفجأة ، حينما أفيق إلى نفسى ، أدرك أنني هنا حيث قررت أنت أن تأتي بي في ذات المكان الذى كانت الكوابيس قد

حذرتني من العودة اليه .

مـــارى : ومع ذلك ، فقد عشنا هنا قبل سنوات ، عشنا هنـــا فترة طويلة . ولم تكن تعسا .

جـــان : ولكنك ترين أن الحال قد تغيرت . فيما مضى كان طابقا أرضيا ، لا يدخله النور كثيرا . أما الآن ، فقد غاصت الشقة ، وكنا قد تركناها بالذات لأنهـــا كانت قد بدأت تغوص ، لأن المـــاء كان يتصاعد من خلال الأرضية . كان يمكنك أن تتجنبي هـــذا بسهولة . امسكى : ان الملاءات رطبة .

مـــارى : سأقوم بوضع مدفآت الأقدام في الأسرة .

جـــان : يا للعطش والعفونة ! ان أسفل الجدران رطب ! قذارة ، ولزوجة ، وزحمة ، مع استمرار في الغوص !

مـــارى : هذه أوهام من صنع خيالك . أين رأيت المنـــازل تغوص ؟

جـــان : إذن ، فأنت لا تدركين شيئا ؟

مـــارى : إنك تنظر إلى كل شيء بمنظار أسود . إنه خيـــالك المريض .

جـــان : إنها حالة واضحة كالشمس ، تقع دائما . شوارع بأكملها ومدن بأكملها ، وحضارات بأكملها ابتلعتها الأرض .

مـــارى : هذا يحدث رويدا . . . رويدا . . . بشكل غـــير ملموس . . . ثم ، إذا كان هذا هو مصير الجميع

فلا بد من قبوله وبعد ذلك ، يقوم الناس بالحفـــر والتنقيب ، فيعثرون من جديد على المنازل المدفونة التي تعود إلى الازدهار في بلاد الشمس .

مـــان : وفي انتظار حدوث ذلك ، نغوص نحن . إنني أبغض هذا النوع من المساكن .

مـــاري : ان الغالبية العظمى من الناس يعيشون على هذا النحو في بيوت كهذه .

جـــان : إنهم يتلذذون بالوحل ، ويتغذون عليه . فإذا كانوا يحبون الظلمة أو الليل فهذا شأنهم . كان بإمكانك أن تجنبيني ذلك . لا أستطيع أن أتجنب مصيري ، لا أستطيع أن أتجنب مصيري . إنني لا أحب إلا المنازل ذات الجدران والأسقف الشفافة ، بل تلك التي بدون جدران أو أسقف ، والتي تدخلها الشمس أمواجا من الشمس ، ويدخلها الهواء أمواجا من الهواء . آه ، يا محيط الشمس ، يا محيط الهواء !

مـــاري : كنت تقول لى في بعض الأحيـــان إنك تريـــد أن تهجر المنزل الجديد ، لذلك فقد بحثت أنا عن منزل آخـــر .

جـــان : لم أكن أريد أن أهجره بأى ثمن . لم أكن أرغب في مغادرته إلا لكي أستبدله بمنزل أكثر نورا ، تحيط به وتتخلله زرقة السماء . منزل معلق على جبل ومثل هذا موجود في العالم . أو حتى فوق نهـــر ، وليس في النهر ، معلق في الهواء ، يعلو المياه بقليل ، له في النوافذ وجوه من الأزهار ، أزهار لا نرى لهـــا

جذورا ولا سيقانا ، لا نرى منها إلا هامات الوجوه ، أزهار دانية . هناك أزهار تبكي ، ولكن هناك أيضا أزهار تضحك . لماذا لا نختار هذه الأزهار ذات الهامات الباسمة ؟

مارى : إن هذه الحدائق ، وهذه المنازل ليست في متناولنا ، انها تفوق إمكانياتنا .

جان : ان هذا المقعد الأعوج ، وهذه الأبواب الخربة ، وهذا الصوان الذى قرضته الديدان . . .

مارى : انه أثاث عتيق .

جان : ووحل في الأدراج .

مارى : انك ترى جيدا أنه أثاث أصلى . انك دائم التبرم والسخط .

جان : لى أصدقاء يسكنون فوق تلال عجيبة ، فوق قمم مشرقة وهم يدفعون إيجارا أقل مما ندفع ، إيجارا زهيدا . وهناك غيرهم لا يدفعون إيجارا بالمرة .

مارى : لقد ورثوا هذه المنازل عن آبائهم . أما نحن فلم تتح لنا هذه الفرصة . إن حالنا تبدو لى جميلة ما دمت أملك فراشا ، وقليلا من النور وأكون معك .

جان : نعيش في الغسق أو في الليل ، في حين أنني لا أحب إلا الفلق .

مارى : هناك أناس يعيشون تحت الجسور ، وليس لهم من مأوى . كان ينبغي أن تكون أكثر رضا بمصيرك .

جان : ما أسعد حظهم ! فلديهم الشوارع ، ولديهم الميادين

ولديهم الحدائق ، والمزوج ولديهم البحار ، وليس لهم من وطن .

مــــارى : استمع لى ، أقولها لك مرة أخرى : انها شقة عادية بها غرف ، وأسرة ، وكتب ، ومطبخ ، ونشــعر فيها كأننا في دارنا .

جـــان : . . . في مداساتنا المبللة ، وملابسنا الرطبة . . .

مــــارى : سأقوم بتنشيفها في المنشر ، في الحجرة الصغيرة المجاورة .

جـــان : ان المطر يسقط بلا انقطاع في المنشر . لن أسكن هذا المنزل بعد الآن . لن تقر عيني ، ولن اذعن . إنني أشعر بالبرد . وليس هناك حتى جهاز تدفئة مركزية .

مــــارى : سأدفيء المنزل بحرارة قلبي .

جـــان : ليس عندنا كهرباء . كل ما هنالك مصابيح زيت قديمـــة .

مــــارى : ســأضيئه بنــور عيني .

جـــان : هناك منازل تجعلنا ننسى انها مقابر . تكفي أن نلمح منها السماء ، ان السماء تعزّى عن الحياة ، وتعزى عن الموت .

مــــارى : هنا ، المنزل المعتــاد .

جـــان : إنني لا أستطيع الحياة إلا في انتظار شيء ما . وساعي البريد لا يمــر في هذا الشارع .

مــــارى : لن تتلقي بعد ذلك خطابات تضايقك ، خطابات

سخيفة تحمل لك الشتائم أو الشكر أو مختلف الالتماسات .

جان : حتى الهاتف غير موجود .

ماري : إنك لا تطيق الهاتف . أنت نفسك أردت أن تلغيه .

جان : أريد أن ألغيه بعد أن يكون عندى . وحينما لايكون عندى يجب أن أملكه . يجب أن املكه لكى أستطيع أن ألغيه إننى حتى لا أستطيع أن ألغى الهاتف . لم بعد هناك ما انتظره ، لم يعد هناك ما افعله .

ماري : إنك لا تستطيع أن تحيا كما يحيا كافة الناس . فدائما ينقصك شيء ما .

جان : دائما ، فعلا . إننى لا أستطيع أن أحيا الا على أمل أن شيئا خارقا سوف يحدث. فعندما كنت تلميذا كنت أنتظر يوم الخميس (١) ، كنت أنتظر اجازة عيد الميلاد كنت أحيا على أمل الحصول على اللعب والشيكولاته وما زلت أذكر أريج البرتقال واليوسفى ، وبعد ذلك ، عشت على أمل أن تحبينى .

ماري : أنا مازلت أحبك .

جان : وبعد ذلك ، في الشتاء ، كنت احيا وأنا على يقين من حلول الربيع . كنت احيا من اجل العطلة الصيفية ، وفي خلال العطلة كنت إحيا وانا احلم بالخريف والعودة الى المدينة . كنت دائما أحيا على أمل رؤيةالجليد والبحر والجبال والبحيرات الرقراقة.

---

(١) يوم الخميس عطلة بالمدارس فى فرنسا (المرجع)

كنت أحيا بوجه خاص على أمل تجـــدد الفصول وتواليها . أما هنا ، فلا يوجد الا فصل واحد كئيب هو خليط من الخريف والشتاء .

مـــارى : سيحل الاطمئنان والسكينة . لاشيء يعكر ســـلام حياتنا .

جـــان : ليس السلام هو ما أريد ، وليس مجرد السعادة ، إن ما يلزمني هى الفرحة الغامرة ، والنشوة الطاغية . وفي اطار هذا المنزل تستحيل النشوة الطاغية . اننا لم نكد نصل ، لم يمض على وصولنا عشرون دقيقة . فانظر اليك فاذا الشيخوخة قد اصابتك ، وبدأت التجاعيد تحفر وجهك . واصبح لك شعر ابيض لم يكن لك من قبل . ان الزمن هنا يمر اسرع مما تتصورين ان رأسك يميل اشبه بزهرة تثقل على غصنها .

مـــارى : سريعا او بطيئا ، ما أهمية ذلك ؟ ساعة أو عشر دقائق سنة او اسبوعان ، مـــاذا يهم ؟ فنحن واصلون الى النهاية لا محالة .

جـــان : وهذا السقف يخور وينهار ، واشعر به مقدما يثقل كاهلي وبقع الرطوبة تتسع فوق الجدران . أهـــذه صورة الزمن كل شيء يذوى وينقرض امام العين المجردة .

مـــارى : أنا لا أخشى الموت ، شريطة أن أكون معك . واذا خطوت خطوة فلمست يدك ، واذا كنت في الحجرة المجاورة وناديتك فأجبتني ، فأنا سعيدة . و « هى » ايضا موجودة (تشير الى المهد) انا اعرف انك تحبنا ،

ولعلك لا تحبنا بما فيه الكفاية ، ولعلك لا تجرؤ على ذلك ، ولعلك لا تفهم ذلك ؟ لكنك تحبنا ، وأنا أعرف ذلك . لا يمكنك ان تتصور المكانة الكبيرة التى نشغلها في قلبك . آه ، ليتك تستطيع ان تعلم ذلك علم اليقين !

جان : إنكما تحتلان مكانة كبيرة لكن العالم أكبر وما ينقصنى أكبر أكبر

ماری : انا وهی نمثل كل شيء بالنسبة لك . وذات يوم ستدرك ذلك (على حدة) . ليته يستطيع ان يدرك مقدار الحب الذى يكنه لنا .

جان : من ذا الذى سينسينى أننى أحيا ؟ إننى لا أستطيع أن أتحمل وجودى .

ماری : أنت لا تتطلع حولك بما فيه الكفاية . ولا تتطلع بانتباه فهذه الجدران التى تجدها قديمة وعليها بقع من الرطوبة والعفن ، هل تأملتها جيدا ؟ انظر الى هذه الاشكال الى هذه البقع الجميلة .

جان : انها قديمة

ماری : (ممسكة بيد جان لتريه عجائب المنزل) إنها ليست قديمة وانما هى اثريّه . كنت أظنك ذواقا للجمال . على أية حال ، كيف تفضل الى هذا الحد ما هو حديث . ان هذه الاشكال بليغة ، وهذه الوجوه معبرة في صمتها ، فأنا المح بعض الجزر . انظر ، ها هى ذى مدينة قديمة ، ووجوه حبيبة تنحنى

لتحيتنا . انظر ايضا ، هذه شفاه منفرجه واياد تمتد نحونا. واشجار كنت تريد زهورا ،ها هي ذى فوق الجدران في زهريات جميلة .

جـــان : مهما حملقت عيني فإنني لا أرى الا عفنا وخرابا... آه ، بلى ، إنني أرى ، . . . لاما ترينه أنت . إنني أتبين في هذه البقع فقرات عظامية دامية ورؤوســا مطأطأة حزينة ، ومحتضرين مذعورين ، وأجســادا مبتورة ، بلا رؤوس وبلا أذرع ، ووحوشا غريبة، مريضة ، طريحة ، تلهث . . .

مــاري : لقد أصبحوا عاجزين فلا خطر منهم .

جـــان : لقد خلّفوا لنا شقاءهم . وهنا ، انظرى الى هـــذا الرأس ، رأس الشيخ ، اجل ، انه شيخ صيني تملأ التجاعيد وجهه ، كم هو حزين ! لاشك انهمريض بقبعته ذات الإطار الكبير . . . وهذه الفئران التي تنقض عليه ، انها فوق كتفيه ، ولن تلبث ان تعض وجهـــه .

مــاري : أنت مخطئ : إنه شيخ،بشوش ، باسم ، يتطلع الينا ويوشك ان يحدثنا .

جـــان : والفئران الواقفة على كتفيه ؟

مــاري : إنها فئران مستأنسه ، فهي تقف وتتشمم وجهه في وداعـــة

جـــان : إن صدره يقطر دما وجسمه مثخن بالجراح المفتوحة

مــاري : كلا ، ابدا يا حبيبي . انه يرتدى معطفا احمر موشى

بالزخارف والذهب . إننى على ثقة من أنه حكيم البيت وراعيه . إن المنازل القديمة حافلة بالذكريات المثيرة . كل من عاش فيها يعيش فيها فلااحديموت.

(تدخل العمة آديلاييد من الباب الماثل الى يسار المتفرجين . قبل ان تدخل ، يمكن ان نراها في المرآة وهي مقبلة تجلس بطريقة طبيعية للغاية فوق الاريكة القديمة . . . تتشح بخمار طويل يجعلها تبدو وكأنها عزيزة قوم ذلت . فتبدو وكأنها شبه متشردة .)

جان : العمة آديلاييد ؟

ماري : اوه نعم ، إنها العمة آديلاييد .

آديلاييد : جئت لزيارتكما

جان : (الى العمة آديلاييد) لست أدرى ماذا جئت تفعلين هنا ، يا عمة آديلاييد ؟ ماذا تريدين منا ؟

آديلاييد : أضايقكما ، أليس كذلك ، أزعجكما ؟

جان : أنت لا تزعجيننا ، فنحن نحبك كثيرا ، وأنت تعرفين أننا نحبك كثيرا (العمة تهز كتفيها وتضحك بمرارة) يبدو انك لا تصدقيني ، إنني أقول الصدق.

ماري : إنها لا تستطيع أن تصدقك أو أن تفهمك . حتى فيما مضى كانت تسيء الفهم . والذنب ليس ذنبها .

آديلاييد : إنني أفهم كل شيء . وفي بعض الأحيان ، أتظاهر بعدم الفهم ، وأتغابى ، لكنني أفهم ، أفهم كل شيء .

جان : إذن يجب أن تدركي أن مكانك ليس على الأريكة التي تجلسين عليها .

آديلاييـــد : لقد جئت لزيارتكما ، فتكون هذه مقابلتكما لى ، هكذا ؟ لقد كانت العائلة تحط من قدرى دائمـــا وتستهين بي . لا بنيّ في قومه . إن الأجانب يحترمونني ويقبلون يدى ، ويقولون لى : « سيدتي ، ابقي من فضلك » : أو « هل تتفضلين بتناول العشاء معنا » فأجيبهم قائلة : « كلا ، كلا . . . » لا يتضايقون مني ، لا أحد يتضايق منى إلا أنتما . انكما تكرهاني بسبب عظمتي . وما دام الأمر كذلك فأنا ذاهبـــة (تنهض وتعود إلى الجلوس) أنا لست جائعة ، شكرا . لا أتناول القهوة أبدا . ولا أشرب الخمر أبدا . أبدا ، أبدا ، أبدا . لقد كنت دائما أقنع بالقليل لقد ظللت أعمل طوال حياتي ، وكنت ملهمة زوجي الطبيب الكبير . ان أغلب الأبحاث الطبية التي وقعها باسمه كانت في الواقع من تأليفي أنا . إنه مدين لى بالنجاح البـــاهر الذى كان يتمتع به . ولكنني لم أخبر أحدا بذلك ، فأنا متواضعة . ومع ذلك فقـــد كان الأساتذة على علم بالموضوع فلقد أحسوا أني صاحبة هذه الدراسات . ولم يخبروا أحدا بذلك . وكان كل منّا يفهم الآخر عن طريق الغمز والإشارات المعبرة والتلميحات وكنت أقول : « إنه هو الذى الف كتبه » وذلك حتى لا أسيء اليه . وكان زملاؤه أساتذة المستشفيات وأعضاء المجمع الطبي ينظرون إلىّ مبتسمين ، وكنت أنا أيضا أبتسم لهم ردا على ابتسامتهم . كانوا رجالا على درجة من الجمـــال وكانوا يغازلونني . وحتى اليوم أيضا يواصلون ذلك .

وغالبا ما اضطر إلى غلق بابي تجنبا لمضايقات العشاق ، فيكتبون لى الرسائل . التي ألقي بها جميعا في سلة المهملات بعد أن أمزقها إربا إربا إنني لم أعد أرغب في الزواج .

مـــارى : لم تتغير .

جـــان : (إلى العمة) وهؤلاء العشاق ، أين يأتون لطلبك ؟

آديلاييـــد : عندى . . . في بيتي . وإذا لم أستقبلهم ، انتظروني على السلم . فأضطر إلى الخروج من سلم الخـــدم . وهناك أيضا ، أجد أحدهم أو بعضهم يرقبونني ... نعم ، انهم يحضرون إلى المنزل .

جـــان : فكرى جيدا يا عمة آديلاييد . أين منزلك هذا ؟

آديلاييـــد : لم يزل في نفس المكان .

جـــان : أى مكان ؟

آديلاييد : شقتى التى أسكنها منذ عشرات السنين . وأنت تعرفها

جـــان : لقد تركتها ألا تعرفين ذلك ؟

مـــارى : (الى جان) أسكت .

جـــان : (الى العمة آديلاييد) إن هذه الشقة تسكنها الآن عائلة منذ فترة غير قصيرة .

مـــارى : (الى جان) لا تحدثها عن ذلك .

آديلاييد : كانوا جماعة من المساكين ـــ لا يعرفون اين يذهبون كانوا في عرض الطريق . وقد احتفظوا لى بغرفـــة اذهب اليها حينما اريد . والدليل على ذلك انني احمل

مفتاح المنزل ، انظر . ها هو ذا المفتاح . انني اعمل اثناء النهار ، اذهب لالقاء بعض المحاضرات بالجامعة وبعد ذلك اذهب الى المكتبة للدراسة . ولست بحاجة الى تقديم بطاقتي فهم يعرفونني هناك . وفي المساء اجتمع مع بعض الاساتذة . وبعد ذلك ، في الليل ، اعود الى بيتي متعبة ولكن سعيدة . واذا استيقظ الناس الذين آويهم في شقتي لاستقبالي ، قلت لهم : « ناموا ، ناموا ، لا اريد ازعاجكم . » وهم ممن يعترفون بالفضل والجميل فيسألونني قائلين : » ألست في حاجة الى شيء يا سيدتي ؟ « ألست في حاجة الى شيء يادكتور ؟ » فأكرر لهم قولي : « لا تزعجوا أنفسكم ، لا تستيقظوا حينما اعود ، وخصوصا الطفل الرضيع دعوه ينم » . ثم اخلع حذائي واذهب
الطفل الرضيع دعوه ينم » . ثم اخلع حذائي واذهب
الى الركن الخاص بي على أطراف أصابعي في هدوء. إنني لا أفكر في نفسي ابدا ، بل أفكر دائما في الآخرين . وما أن ادخل حجرتي حتى أغلق الباب دون ضوضاء واتمدد على فراشي وانام ثماني ساعات. إنني أنام في الحال . وفي الصباح أفيق من نومي في منتهى الانتعاش واواصل حياتي ، انت تعرفها ، هذه الغرفة الصغيرة التي تقع في نهاية الممر الى اليسار هل تعرفها ؟ ففيها كنت تنام حينما كنت طفلا صغيرا بنافذتها التي تطل على الشارع المشجر الذي يمر فيه المترو المعلق .

جـــان : هذا ليس صحيحا ، عودى الى صوابك ، ليـــس صحيحا كل هذا الذى تروينه .

مـــارى : (الى جان) لا تعارضها . . . ففى هذا الذى ترويه شيء من الحقيقة .

آديلاييد : (الى جان) كنت تحب سماع المترو اثناء مروره . كانت الضوضاء تهدهدك . كنت تأتي لتنام عنـــدى حينما كانت أملك تريد منك أن تأخذ حماما . فلم يكن في بيتكم حمـــام . كنتم دائمـــا تسكنون شققا متواضعة . وانا التى كنت ادفع الايجار . ولم يكـــن بامكاني أن أهيىء لكم شقة اكبر . وكنتم غير راضين بذلك . ولم يكن ذلك بخلا منى بل كنت اتحمـــــل نفقات باهظة ، فكنت أعول العائلة كلها ، أملك ، وأبي ، وأمى ، وأنت وأملك كنتما تسكنان مع جدك وجدتك . ألم اكن أنا التى أدفع كل شيء ؟ فعمك القنصل كان دائما بالخارج ، ولم يكن يهتم بكم . وأملك المسكينة ، آه ! وأبوك الذى رحل كـــانت أملك تقول إنها غلطتى أنا ، وإنه انفصل عنها بسببى هل اكـــذب ؟

جـــان : كثيرا ما كنت أنام في هذه الغرفة وأنا طفل صغير . وفيما بعد أيضا ، حينما كنت آتي إلى باريس .

آديلاييـــد : أرأيت ؟

جـــان : وكنت أميل من النافذة لكي أرى المترو أثناء مروره

مضيئا في المساء . وكانت رؤوس الناس ترى من نوافذه هذا صحيح .

آديلاييـــد : إذن ، فلماذا تكذب ؟ فأنت ترى أنني أقول الصدق ولست مجنونة .

جـــان : هناك شيء آخر ليس صحيحا . هيا ، ابذلى شيئا من الجهد ، فكرى . هل تذهبين فعلا كل مساء وتنامين في منزلك ؟

آديلاييـــد : نعم ، يا جان ، كل مساء .

جـــان : في منزلك ؟ عند الناس الذين يسكنونه ؟ وهم يرونك وتتحدثين معهم ؟ صحيح هذا ؟ أجيبى .

آديلاييـــد : (وهي تتجنب الإجابة على السؤال) إذا كنت أتجول وأنا أرتدى هذه الثياب كالبائسة ، فليس ذلك بقصد التسول كل ما هناك إنني لم أعد أملك مالا . فقـــد وهبت كل شيء لجميع الناس . ومع ذلك لم يهجرني ولم يلفظني أحد بل هناك من يساعدونني . الآخرون يساعدونني ، الآخرين فهم حافظون للفضل معترفون به . . . لا أقصد العائلة . آه ، العائلة ! إنني لا أطلب شيئا من العائلة . . .

جـــان : ليس هذا هو الموضوع .

آديلاييـــد : (مواصلة) . . . إذا كنت أتجول في المساء فذلك لأنني في حاجة إلى استنشاق الهواء . وإذا كنت أمد يدى على أبواب المحلات الكبرى ، وإذا كنت أنتظر الساعات متظاهرة بالوقوف في الصف على

محطات الأوتوبيسات فليس ذلك طلبا للإحسان ، كلا ، كلا ، فأنا لا أريد صدقة من أحد . إن كل هذا الذى أفعله إنما أفعله لكي أتمكن من ملاحظة الناس ، فأنا أؤلف كتبا .

جـــان : لم نرها أبدا .

مـــارى : (إلى جان) دعها تتكلم . . . فهذا يروح عنها .

آديلاييـــد : إنك لا ترى شيئا بالمرة . ان ما أقوله صحيح . أؤلف كتبا عن الحياة ، وعن الشوارع ، وعن المجتمع ، وعن العادات الراهنة ، وعن المدارس . إنني اكتب السير الحقيقية لحياة المشاهير ، ورؤساء الدول لأنني أعرفهم ولقد شرحوا لى كل شيء . أنا وحدى أعرف أسرارهم كما أنني أقوم بإعداد بعض الأبحاث العلمية . أمس فقط القيت بحثا في المجمع .(١) فقالوا لى : سيدتي ، أنت رائعة ومن الطبيعي انك وزوجك لم تحضرا . كل الأساتذة كانوا هناك : أســاتذة السوربون ، والكوليج دى فرانس ، ومجمع العلوم ، كلهم ، عن بكرة أبيهم .

جـــان : أنت تعلمين تمـــام العلم أنك تختلقين ما تقولين . وليس هذا هو الموضوع .

آديلاييـــد : سوف تعلمان فيما بعد ، أنتما الاثنان ، من أنا . وسوف تندمان . لا تريدان تصديقي . انظرا إلى كل هذه الأوسمة التي أحملها .

---

(١) يضم المجمع خمس أكاديميات فى فرنسا (المرجع)

جـــان : قلت لك ليس هذا هو الموضوع . هيا ، إننى أطلب منك ان تبذلى بعد الجهد ، ياعمة آديلاييد . اجيبيني : مساء امس ، هل نمت حقا في بيتك ؟ هل كنت في شقتك ؟

مــــارى : (الى جان) لن تستطيع اقناعهـــا .

آديلاييد : انني انام دائما نوما هنيئا مادمت اعمل من الصباح حتى المساء . فأنا في حاجة الى النوم . لذلك كان نومى هنيئا وانا لست مريضة ، بل صحيحة البدن .

جـــان : طيب . من اين انت قادمة الآن ؟

آديلاييد : من بيتى . . . من بيتى . افقت من نومى متأخـــرة قليلا ، فقد انتهزت فرصة يوم اجازتي ، فاليوم هو الاحـــد .

مــــارى : لعلها تتظاهر بانها لا تعرف ، او لعلها نسيت ايضا .

جـــان : انني لا اعرف ماهي حقيقة شاعرها . ولم اعـــرف شيئا من ذلك . فهكذا كانت دائما تارة تمثل ، وتارة لا تدرى انها تمثل . واحيانا أخرى تقول الصدق . وهي صادقة في بعض ما تقول وان بدا ذلك غريبا . فقد كانت دائما مثارا ستغرابنا ودهشتنا . ولا يمكن ان نثق فيما تقول .

آديلاييد : هل تظنان أن الأوسمة التي منحت لى ليست أوسمه حقيقية إننى أحمل شهاداتي في حقيبتى وسأطلعكما عليها . مع انني لم أضع كل الأوسمة . إن معـــى الكثير من الميداليات والنياشين والاشرطة .

مـــارى : نحن نصدقك ، ولا داعى لاطلاعنا عليها .

آ ديلاييد : بلى ، بلى ، خذا ،هذه بعضها (تخرج من حقيبتها حفنة من الميداليات والأشرطة) انظر ،ياصغيرىّ ، انظرا من أكون انا ؟ (تعيد الأوسمة الى حقيبتهـــا وتغلقها) .

جـــان : إنك دائما تغيرين موضوع المناقشة . أنت تعرفـــين جيدا ، تذكرى لقد قمت بإحراق منزلك ، أشعلت النار في ستائر حجرة الاستقبال وحضر رجال الاطفاء

آ ديلاييد : إنها جارتي التى فعلت ذلك لايذائي

جـــان : وكيف يمكن للجارة أن تدخل عندك ؟

آ ديلاييد : لقد صنعت لنفسها مفتاحا . وهى تترصدني ، وأنـــا أراها خلف ستائرها ، وما ان أخرج حتّى تسارع الى شقتّى . وعندى زهور ، وهى تتلفها . إنها ماكرة ، فهى لا تنتزع الا ورقة ، ورقة واحدة . وبعد ذلك تذبل الزهور . فأضطر الى القائها في وعاء القمامة . ذات يوم ، صنعت لنفسى تنورة . وخرجت لمدة ربع ساعة . وعدت في الحال لكى افاجئها . كانت قد رأتنى وانا قادمة ، فتمكنت من الفرار ودخلت فرأيت التنورة فوق السرير حيث كنت قد تركتها. ولكنها لم تكن في نفس المكان بالضبط . فارتبت في الأمر . فاذا بها قد استبدلت بها تنورة اخرى مطابقة لها ، ومن نفس اللون كانت تنورة من نبات القراص. وكانت قد صبغت القراص بلون التنورة . واذا كنتما

لا تصدقاني فانظرا اليها وهى تمر تلك المرأة الشريرة. وستريان انها ترتدى تنورتي الحقيقية .

جـــان : ولكن لم يعد لديك أثاث ، ولم يعد لديك فراش ، لأنه كان قد احترق . واخذوك الى المستشفى .

آديلاييد : كذب . إنكما تصدقان أعـــدائي . وهم يريـــدون الانتقام منى ، ويضطهدوننى ويرموننى بالنميمة .

جـــان : ولماذا ينقمون عليـــك ؟

آديلاييـــد : هذا ليس صحيحا . فأنا لم أمرض بتـــاتا . لم أمرض بتـــاتا لم أمرض بتـــاتا . إنني أعرف رئيس أطبـــاء المستشفى . فهو صديق قديم . منذ كان طالبا . كان يلقبني بالأستاذة وكان يحـــذرني ويقول لى : « إن أعداءك كثيرون ، ياسيدتي فكثير من الناس يغارون منك . » إنني لم أدخل المستشفى أبدا هل تظنان أنني مجنونة ؟

جـــان : وبعد المستشفى ، أين ذهبت ؟

آديلاييـــد : أنا لم أذهب إلى المستشفى .

جـــان : بلى ، كنت في المستشفى . هل تريدين أن أخبرك الى أين نقلوك بعد ذلك ؟

مـــارى : (وقد جلست بجوار المهد ، تتوقف لحظة عن الهدهدة) لا تخبرها .

آديلاييـــد : (ناهضة) كلاكما مخطىء . أنا لست شبحا . انظرا إنني أتحرك ، وأتحدث ، أتحدث . ولى ذراعان ، وساقان وأسير ، أذهب إلى حيث أشـــاء . ولى

صـــدر جميل رغم سنى (تفتح مشدها وتنزع رافع نهديها وتظهر صدرها) زوجتك أيضا يمكن أن ترى . هل لهـــا صدر مثل صدرى ؟ ولهذا يغازلوني هذان ليسا نهدى شبح . وفخذاى أيضا جميلان . ان جسمي غير مترهل ، كثير العضلات إلى حد ما لأنني أقوم ببعض التمرينات الرياضية ، إنها الصحة .

مـــارى : من الأفضل أن تنصرفي يا عمة آديلاييد . هـــدئي من روعك غطي نفسك .

(آديلاييد تغطي نفسها بمعطفها) أرجوك بكل لطف : انصرفي . عودى مرة أخرى . سندعوك لتنـــاول الغـــداء .

آديلاييـــد : ان عروقي فيها دماء . على عكس الأشباح . انظرا : دماء حمراء جميلة (بعد أن خلعت معطفها المثقل بالزهور والعنب الصناعي ، تخرج مدية وتشج بهـــا رأسها) دم يسيل . انه دمى .

جـــان : يبدو أنها تقول الحقيقة . إنه يسيل فعلا .

آديلاييـــد : (إلى مارى مشيرة إلى رأسها المشجوج) ضعي يدك هنا وسترين جيدا (مارى لا تفعل ذلك . العمة تخاطب جان) ضع يدك . انك ترى جيدا الآن . انكما لا تصدقاني أبدا ، كنتما دائما تفتريان عليّ . (آديلاييـــد تمسك يد جان بالقوة تقريبا وتجعله يلمس الجرح . جان يسحب يده وينظر إلى مارى) .

جـــان : (ناظرا في يده) هذا ليس دما حقيقيا . هذا ليس

سائلا ثم أنه قاتم اللون بحيث لا يمكن أن يكون دما . إنه طرى هلام . لزج ، لا يترك أثرا . (ينظر إلى يده مرة أخرى) كان يملأ أصابعي ، فاختفى من تلقاء نفسه . ثم ان مسحوق الدم . . . إذا نفخناه . . . زال . دم على شكل مسحوق . . . كلا . يا عمـــة آديلاييد ، من المؤكد إن هذا ليس دما حقيقيا أنت تريدين خـــداعنا .

مـــارى : (إلى جان) انها تمثل علينـــا .

آديلاييـــد : إنني فنانة ، ولكنني لا أمثل عليكما . كلاكما مجنون يا صغيرى المسكينين كنتما دائما تفتريان عليّ ، دائما . إنني ذاهبة لمقابلة الأساتذة . فهم يحترمونني ، ويصدقونني . لا يقولون لى إنني مجنونة . وأنا لست مجنونة ، وهم يعرفون ذلك .

لن آتي منزلكما بعد ذلك أبدا . أبدا وأنا أشـــعر بالأسف لذلك . ليس من أجلكما ، وإنما من أجل الصغيرة التي في المهد . إنها الوحيدة التي أحبها من بين أفراد العائلة كلهم . ومن أجلها آتي على الرغم من إهاناتكما .

(تخرج . تظهر صورتها في المرآة لمدى لحظات)

جـــان : (أثناء انصرافها) وا أسفاه ، ومع ذلك فلست أنا الذى قتلت العمّة آديلاييد !

مـــارى : وكيف تكون أنت الذى قتلها ؟ إنك حتى لم تحضر جنازتها .

جـــان : إنها لا تستطيع أن تعثر علينا إلا ونحن هنا .

مـــارى : لن تعود مرة أخرى حينما تدرك ما حدث لها . ومع ذلك ما كان ينبغي أن نتركها تنصرف وهي في تلك الحال دون أن تقول لها كلمة لطيفة . يجب أن تكون أكثر هـــدوءا ، وأكثر تفهما للأمور . انك لم تعد تطيق الناس .

جـــان : انها لم تعد كما كانت . لمـــاذا نستقبل مثل هـــذه الزيارات في هذا المنزل ؟ لمـــاذا ؟

مـــارى : لا تجادل نفسك . فكر فيها أيضا ، وفي حالها . انها قريبة لنا . ومن الذى لا تخدعه نفسه ؟ كان ينبغي أن تحاول تفسير الموضوع لها . ولكن دعك من التفكير في ذلك . انك ترتعد ، فقد أصابك البرد . تعال . اجلس . كلا . . . بل تجول معي في الحجرة .

جـــان : لم أعد أستطيع أن أسكن هذا المنزل حقا . لم أعـــد أستطيع . . .

مـــارى : (متعبة) أعرف ، أعرف هذا . . . أعصابك متوترة. ولكنها حالة يمكن شفاؤها .

جـــان : أنا لا تعوزني البصيرة ، وأعرف أنها حالة لا يمكن شفاؤها .

مـــارى : حتّى لو كانت عندك أسباب لهذا الحكم ، فلا تقم لها وزنا . عليك بالنسيان . وامتثل للأمر . أنت تريد دائما أن تفعل شيئا . لا تحاول أن تفعل شيئا . هـــل تريد أن أفتح ادراج هذا المكتب القديم ؟ انظر إلى

هذه الصورة القديمة ، هذه الصور التي تمثل أناسا من ألف عام مضت ، صور من كل عصر . الماضي كله هنا .

جـان : إن ذكرى الآخرين لا تهمني .

مـارى : صورة لك وأنت طفل صغير . . .

جـان : لقد أصبحت ذكراى تثقل كاهلى كهذه الجدران ، وهذا السقف الذى يجثم علينا .

مـارى : سنظل نرفعه قدر ما نستطيع ، بأكتافنا .

جـان : ليتني أستطيع أن أحصل على الذكريات الأخرى .

مـارى : أية ذكريات ؟

جـان : الذكريات التي طواها النسيان . كلا ! ولا حتى هذه ذكريات أخرى غيرها . . . ذكريات حياة لم أعشها . كلا ليس هذا ما أعنيه ، بل ذكريات لم أصادفها أبدا ذكريات مستحيلة .

مـارى : إنك تغالى في الطلب .

جـان : هذا وحسب .

مـارى : أسنانك تصطك وأنت ترتعد . سأوقد النار فيالمدفأة . (تظهر على جدار أقصى المسرح ، إلى اليمين ، أو في المرآة ، مدفأة ذات لهب أو تنعكس صورتها في المـرآة) .

جـان : لاتوقدى نارا في المدفأة . اخمديهابسرعةحتى لاأرى هذه المرأه التى تحترق في لهيبها . إنها تظهر بمجرد أن

تشعلى النار . انظرى اليها بشعرها الذى يلتهب . هكذا تظهر بوجهها اليائس . . . انها تمد لى ذراعيها وهى تتعذب . دائما ، منذ ان مدت لى ذراعيها بنفس الطريقة ، ثم اختفت وسط الدخان ، لقد تحولت الى رماد تحت قدمى . وفي كل مرة تبعث من رمادها كوخز الضمير . لم تكن عندى الشجاعة لالقى بنفسى وسط اللهب (مخاطبا المرأة التى يراها وسط اللهب) أجل أنا أعرف ، كنت تمدين لى ذراعيك ، وكنت تصرخين ، كنت خائفة ، وكنت تتألمين . كان بودى ولكننى لم أستطع فاصفحى عنى .

مـــارى : (الى المرأة المفروض انها وسط اللهب) الذنب ليس ذنبه ياسيدتي . لم يكن يستطيع انقاذك . ولو فعل لفعل المستحيل . بل ان الامر كان أكثر من المستحيل ، ليس الذنب ذنبه ، صدقيني ، ليس الذنب ذنبه . انصرفي ارجوك . انصرفي (المدفأة واللهب يختفيان . تخاطب جان) هل ارتحت ؟

جـــان : هذا المسكن مسكون .

مـــارى : أنا شخصيا لا اخاف هذا . لقد اصابك البرد مرة أخرى .

جـــان : أنا بردان ، وحران ، وجوعان ، وعطشان ولا شهية عندى للطعام ولا رغبة عندى لاى شيء كان .

مـــارى : لن تلبث أن تتعود على ذلك . وسأساعدك ، سترى . أن الانسان يمكن أن يبنى وكرا من اى شيء ، ويلتحف بمشاعر حنينه ، ويقتات على رغباته ويحتسى .. كأس الامل فلا يشعر بالظمأ . ان الانتظار تلهية ،

والذكريات التي تحبها يمكنك ان تجعلها حلوة لطيفة يمكنك أن تجعل منها عرضا مسرحيا . حول كربك الى حزن وحزنك الى كآبة ، ثم تغذ على هـــذه الكآبة ، والموتى من الأقارب والأصدقاء يمكنك أن تجعل منهم موجودات حية وعــلاقات ممتعة . فهم يمثلون مجتمعا بأسره ، ومن أشباح المــاضى اصنع ليلا مريحا، إن الحاضر الراهن شمس، لو شئت، والمستقبل سماء زرقاء وإذا كان نظرك حادا فانه يخترق الجدران ويتجاوزها . فاذا الجدران لا تحجب الأفق . . اصنع من الفشل راحة واسترخاء ومنذ الصباح ، تعلل بالمساء الملطف المريح ، فهو آت . واحلم في الليل ببهجة الفلق فهو أيضا عائد وهكذا يكون كل شيء .

جـــان : يا للفراغ الذى أشعر به !

مــارى : ضيقة ، هذا الفراغ ، وستجعل منه امتلاء .

جـــان : هذه حلـــول خيالية ، حلول مستحيلة تلك الــتى تعرضينها على .

(مارى تجلس وظهرها للجمهور ، تواصل هدهدة الطفل في المهد . جان واقف ووجهه للمتفرجين ، الى يسارهم ، ليس بعيدا عن الباب . كل منهمـــا يتحدث من جانبــه) .

جـــان : لن أخاف . كلا ، لم أعد أخاف من كل هؤلاءالذين يحضرون لاستجوابي في هذا المنزل ،في هذا الكهف البغيض . هؤلاء الشواذ لن يفزعوني بعد الآن . إننى أعرف من يرسلهم ، يا مارى ــ مادلين ،أنا أعرفه.

لن ينالوني ، لن تنجح محاولاتهم ، لأن القـــوة تعوزهم . يريدون لوخز الضميران ينهشني وللندم ان يلتهمني ويريدون لقلبي ان يدمى شفقة . انا لست غرا مخدوعا . لم يعد باستطاعتهم ان يفعلوا شيئا . لقد لانت انيابهم ، ولم تعد مخالبهم تستطيع ان تغوص في الاجساد . انني اقتل الحنين والشفقة ولا اشعر بأى تضامن مع اى انسان في عذابه . لقد تعذبت بسبب آلامهم عذابا يكفـــي لان احط عن كاهـــلي كل الاعباء . سأصبح خفيفا وسأشدو بلحن حريتي التي استعدتها ، وسأرقص نشوان ثمـــلا .

مـــارى : سنقوم ببعض الترتيبات في المنزل . سأصلح المكتب القديم ، وانجد الأريكة . (الى الطفلة التي تهدهدها) هوه ،هوه ، نامى ، نامي حتى تكبرى ،نامى . هوه هوه. (ثم الى نفسها) ليته على الأقل يعرف مايريد ! إلى أين يريد أن يذهب بحثا عما في متناول يده ، عما هو موجود عند قدميه ؟ انظر يا جان ، انها تبتـــسم في مهدها ، وسرعان ما ستتكلم .

جـــان : لم أعد أستطيع أن أتطلع الى نفسى في هذه المـــرآة المشروخة التي تعكس لى صورة قبحى .

مـــارى : لو انه رأى نفسه كما هي لأدرك أنه جميل ، ولمـــا ابغض نفسه بعد ذلك . إنني أعرفه منذ زمن بعيد منذ بدء الخليقة وأنا مرتبطة به حتى الأبد . فلماذا يسمى ذلك قيودا . يكفيني أن أناديه وأن يجيبني لا أرغب في شيء آخر . يكفيني أنه موجود هنا .